هـــذه عقيـــدتُنـــا

وهـذا الـذي نَـدعُـو إليـه

الفقير إلى عفو ربه ورحمته

عبـد المنعـم مصطفـى حليمـة

" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: هذه عقيدتنا .. وهذا الذي ندعو إليه .. ونجاهد في سبيله .. والذي نموت، ونُبعَث، ونلقى الله تعالى عليه إن شاء الله:

فإني أشهد . ظاهراً وباطناً . بأن الله تعالى واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

كان الله ولم يكن معه ولا قبله شيء .. فأول ما خلق اللهُ القلم .. ثم خلق العرش .. ثم قدر مقادير الخلق، وما هو كائن . قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . إلى يوم القيامة.

له تعالى الأسماء الحسنى، والصفات العليا، لا شبيه، ولا مثيل، ولا نظير له في ذاته، ولا في شيء من خصائصه وصفاته، أو ربوبيته وألوهيته ﷻ، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشورى:١١.

نثبت ونؤمن بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلا الثابتة في الكتاب والسنة من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل .. وعلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

كما ونؤمن بأن لله تعالى أسماء وصفاتاً لا نعلمها مما استأثر به في علم الغيب عنده.

ونؤمن أنه تعالى هو الغني عن عباده، وعباده هم الفقراء إليه، فكل الخلق قائم به، محتاج إليه، وهو قائم بذاته، قيوم على خلقه، كما قال تعالى:﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾آل عمران:٢. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فاطر:١٥. وقال تعالى:﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾آل عمران:٩٧.

ونؤمن أنه تعالى هو المألوه المعبود بحق المستحق للعبادة .. لا معبود بحق سواه .. يجب أن يُعبد وحده .. وما سواه لا تجوز عبادته في شيء؛ لأنه مخلوق ومربوب لا يستحق أن يُعبد في شيء .. ولو عُبد فعبادته باطلة، وهي من الشرك بالله تعالى.

لا مُطاع لذاته إلا الله .. ولا محبوب لذاته إلا الله .. وما سواه يُحب له ويُطاع فيه ﷻ .. وأيما مخلوق يُحب أو يُطاع لذاته فقد جُعل نداً لله ﷻ، وعُبد من دون أو مع الله، كما قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾البقرة:١٦٥.

فالله تعالى خلق الخلق .. وأرسل الرسل .. وأنزل الكتب لغاية واحدة؛ وهي أن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يُشركوا به شيئاً، كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:٥٦. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة:٥. وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل:٣٦.

وهو حق الله تعالى على عباده .. فإن أدوا له سبحانه هذا الحق لا يُعذبهم، ويدخلهم جنته.

والعبادة التي يجب أن تُصرف لله تعالى هي: العبادة الجامعة والشاملة لجميع ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾الأنعام:١٦٢-١٦٣.

والعبادة لا تُقبل إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، لا يشوبها الرياء، وأن تكون مشروعة مأموراً بها، كما قال تعالى:﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾الكهف:١١٠. وقال تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾الملك:٢. ﴿ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ قال السلف: أي أصوبه وأخلصه.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه ".

وقال ﷺ:" قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشركَ فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك ".

هذا فيما يخص آحاد الأعمال التعبدية، أما إن أريد مجموع العبادة وما يقوم به العبد نحو ربه من أعمال تعبدية، فإنه لا بد من أن يضيف إلى الشرطين السابقين شرط ثالث: وهو الكفر بالطاغوت، والبراءة من الشرك كله؛ ما ظهر منه وما بطن؛ لأن الشرك يبطل العمل، ويحبطه، ويمنع من قبوله، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾الأنعام:٨٨. وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾الزمر:٦٥.

والله تعالى كما له الخَلْقُ فله الأمر والحكم في الخلق .. فهو سبحانه الذي خلق .. وهو الأعلم بما يناسب ما خلق، فلا ينفذ في خلقه وملكه إلا أمره، وما سواه فأمره باطل، ومردود، ومرفوض، كما قال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾الأعراف:٥٤. وقال تعالى:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾يوسف:٤٠.

فحكمه هو العدل المطلق .. والحق المطلق .. وهو الأحسن والأجمل والأنفع .. وهو الذي يجب أن يُتبع، وكل ما خالفه فهو باطل ومردود، وهو حكم الجاهلية، كما قال تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾المائدة:٥٠. وقال تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾غافر:٢٠.

ونعتقد بتوحيد الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته .. ولا نقول: أن توحيد الله تعالى في الحاكمية أو التحاكم هو توحيد رابع أو خامس .. وإنما نعتقد أن منه ما يدخل في توحيد الألوهية، ومنه ما يدخل في توحيد الربوبية، ومنه ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات.

ونؤكد على أهميته ونخصه بالذكر لاعتقادنا أن فتنة الأمة في هذا العصر تأتي من جهة مناقضة توحيد الله تعالى في حاكميته .. والخروج عن حكمه وشرعه إلى حكم وشرائع الطاغوت!

ونؤمن أن الدين عند الله هو الإسلام .. وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين .. ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ ﴾آل عمران:١٩. وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾آل عمران:٨٥.

وما كان من خلاف بين الرسل أو الديانات السماوية فهو في الشرائع لا في العقائد والأصول، كما قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾المائدة:٤٨.

ونؤمن ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .. وأنه حبيبه وخليله .. سيد الأنبياء والمرسلين .. أرسله الله تعالى رحمة للعالمين . أنسهم وجنهم . بشيراً ونذيراً، كما قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾الأنبياء:١٠٧. وقال تعالى:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ الفرقان:١. وقال تعالى:﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ص:٨٧.

فالإنس والجن منذ مبعثه ﷺ وإلى يوم القيامة حظه من بين الأمم والشعوب .. لا يسع أحد ممن سمع به اتباع غيره .. فمن سمع به ولم يؤمن به، ولم يتبعه فهو من أهل النار.

وهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .. لا نبي بعده .. كما قال تعالى:﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾الأحزاب:٤٠. فمن زعم بعده أنه نبي مرسل فهو كذاب أشر، وكافر مرتد.

ونشهد أنه ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده .. صلوات ربي وسلامه عليه.

هو قدوتنا وأسوتنا .. ودليلنا إلى الله تعالى، وإلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة .. ما من شيء يقربنا إلى الله تعالى وإلى الجنة إلا وقد بينه لنا وأمرنا به، وما من شيء يبعدنا عن الله تعالى ويقربنا إلى النار إلا وقد بينه لنا ونهانا عنه.

تركنا ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن تمسك بغرسه وسنته ﷺ فقد نجا، ومن خالفه وتنكب عن سنته فقد هلك، كما قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾الأحزاب: ٢١.

وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١.

تجب طاعته واتباعه في جميع ما أمر وبلغ عن ربه .. فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله؛ كما قال تعال:﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾آل عمران: ١٣٢. وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾النساء: ٥٩. وقال تعالى:﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾الأنفال: ١. وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد: ٣٣.

ومن طاعته ﷺ التحاكم إليه وإلى سنته .. فمن رد حكمه وسنته فقد رد حكم الله .. ومن رد حكم الله فقد كفر.

قال تعالى:﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾النساء: ٦٥.

وقال تعالى:﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾النساء: ٥٩.

وقال تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾النور: ٦٣. والفتنة هنا يُراد بها الشرك والكفر.

وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾الأحزاب: ٣٦.

فكل امرئٍ ـ مهما علا شأنه ـ يُخطئ ويُصيب، يؤخذ منه ويُرد عليه .. يجوز أن يُقال له أخطأت وأصبت .. إلا النبي ﷺ لا يجوز أن يُفترض في حقه إلا الحق والصواب، والعدل؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، كما قال تعالى:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾النجم: ٣-٤.

ولقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾الحجرات:١-٢.

تُرد الأقوال بقوله .. ولا يُرد قوله بأقوال الآخرين .. مهما علا كعبهم وشأنهم.

تجب محبته .. والصلاة عليه .. كما يجب توقيره وتعظيمه من غير غلوٍّ ولا جفاء؛ فقد نهانا النبي ﷺ عن ذلك، فقد صح عنه ﷺ أنه قال:" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا عبدُ الله ورسولُه " البخاري.

وقد سمع ﷺ جارية تنشد وتقول: وفينا نبيٌّ يعلمُ ما في غدٍ! فقال ﷺ:" لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين " البخاري.

فمن أبغضه .. أو أبغض دينه وحكمه .. أو شتمه .. أو استهزأ به .. أو انتقص من قدره شيئاً .. فقد كفر، وخرج من الإسلام، كما قال تعالى:﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾التوبة:٦٥-٦٦.

وسنته ﷺ . الآحاد منها والمتواتر . العمل بها واجب وملزم، وهي حجة في الأصول والفروع، والعقائد والأحكام.

وهذا التفريق بين العمل بالحديث المتواتر دون حديث الآحاد في مسائل الاعتقاد هو من الأمور المحدثة في الدين .. وهو من صنيع أهل الكلام والأهواء .. وهو بخلاف الدليل، وما كان عليه سلفنا الصالح في القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخير والفضل.

ونترضى على جميع أصحاب النبي ﷺ الأنصار منهم والمهاجرين، وغيرهم ممن أسلم بعد الفتح .. فنواليهم ونوالي من والاهم وأَحبهم، ونعادي من عاداهم وأَبغضَهم، ونلعن من لعنهم، ونكفِّر من كفرهم؛ لأن الطعن بهم هو طعن بالدين .. وطعن بكتاب الله .. وطعن بسيد الأنبياء والمرسلين، فلا يتجرأ على الطعن بهم ولا يغتاظ منهم إلا كل منافق كافر.

قال تعالى:﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾الفتح:١٨. والذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة كانوا أكثر من ألف وأربعمائة صحابي .. والله تعالى إذ يرضى عنهم فهو يرضى عنهم لدينهم وإيمانهم، وحسن جهادهم ونصرتهم للنبي ﷺ.

وقال تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ

فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾الفتح:٢٩. والذين معه هم أصحابه من المهاجرين والأنصار .. كما أن الآية دلت أن أصحاب النبي ﷺ لا يغتاظ منهم إلا الكفار، كما قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾.

وقال تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾التوبة:٦٥-٦٦.

وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم لم يستهزئوا بالله وآياته ورسوله تحديداً، وإنما استهزءوا بالصحابة، فقالوا عنهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء . يعني أصحاب النبي ﷺ . أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء!!

فعُد ذلك استهزاء بالله تعالى الذي زكى الصحابة وأثنى عليهم خيراً، واستهزاء بآياته التي ورد فيها رضى الله تعالى عن الصحابة، واستهزاء برسوله ﷺ الذي أثني خيراً على أصحابه .. فكفروا بذلك بعد إيمانهم.

ونعتقد أن جميع الصحابة عدول .. وهم خير خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين .. وأن قرنهم خير القرون .. وأنهم هم الأفقه، والأعلم، والأحكم، والأسلم .. بالنسبة لمن جاء بعدهم .. من سلك طريقهم ومنهجهم .. والتمس فهمهم .. فقد رشد ونجا .. ومن يُشاقهم، ويتبع غير منهجهم وسبيلهم فقد ضل وغوى، كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾النساء:١١٥. وأولى الناس دخولاً في ﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هم أصحاب النبي ﷺ.

وأفضل الصحابة هم الذين أجمعت الأمة على فضلهم، وهم: أبو بكر الصديق، ثم الفاروق عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب .. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ونعتقد أن خير القرون بعد قرن النبي ﷺ وأصحابه .. قرن التابعين لهم بإحسان؛ ثم القرن الثاني ثم الثالث .. ثم يفشوا الكذب، وتضعف الأمانة حتى يُقال في بني فلانٍ رجلٌ أمين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الخلف ممن جاءوا بعد القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخير والفضل .. فقيمتهم تأتي من جهة التزامهم بغرس وفهم من سلَف .. فمنهم المكثر، ومنهم المقل .. ولكل له قَدْراً .. جعلنا الله تعالى وإياكم من المكثرين.

ونعتقد أن المؤمنين أخوة .. وأن الموالاة فيما بينهم واجبة .. وأنهم يد على من سواهم، يمشي بذمتهم أدناهم .. وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يُسلمه، ولا يخذله، ولا يحقره.

فالمسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعِرضه .. لا يجوز الاعتداء عليه في شيء، كما لا يجوز تكفيره بالظن، والمرجوح، أو المتشابهات .. إلا أن يُرى منه كفراً بواحاً لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً، لنا فيه من كتاب الله وسنة رسوله دليل صريح.

فمن أبغض عامة المسلمين أو شتمهم .. أو كفَّرهم .. فهو كافر منافق؛ إذ لا يبغض جميع المسلمين إلا منا فق كافر بالإسلام، ومبغض له.

والمرء من المسلمين الذي فيه صلاح وفسوق .. فيه موجبات الموالاة والمجافاة؛ فيُوالى من وجه، ويُجافى من وجه، بحسب ما فيه من صلاح أو فسوق .. ولا يُجافى على الإطلاق إلا من آثر الكفر والشرك على الإيمان وكان من المجرمين.

ونحترم علماءنا ونجلهم .. ونعرف لهم فضلهم وحقهم .. ونتوسع لهم في التأويل فيما أخطأوا فيه .. ولا نعتقد بعصمتهم أو أنهم فوق الخطأ أو التعقيب .. أو أنهم فوق أن يُقال لهم أخطأتم وأصبتم!

ولا نتعصب لهم ولا لأقوالهم فيما يخالف الحق .. ولا نتابعهم فيما أخطأوا فيه .. فالحق أولى بالاتباع، وهو أحب إلينا مما سواه.

ونقول في الإيمان ما قال به السلف الصالح، ودلت عليه نصوص الشريعة بأنه: اعتقاد، وقول، وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصي، لا ينتفي مطلقاً إلا بالكفر والشرك.

والعمل منه ما يكون شرطاً لصحته، ينتفي الإيمان بانتفائه، ومنه ما يكون دون ذلك.

ولا نقول: لا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله ..!

وإنما نقول: لا نكفر أحداً بكل ذنب، أو لا نكفر أحداً بذنب دون الشرك ما لم يستحله.

فالشرك كفر لذاته، وكذلك أي قول أو عملٍ كفري فهو كفر لذاته لا يُشترط له الاستحلال .. أو أن يكون معقوداً حله في القلب!

ولا نقول: أن المرء لا يكفر إلا بالجحود أو الاستحلال القلبي .. كما يزعم أهل التجهم والإرجاء .. فإن الكفر أو سع من حصره بالجحود: فمنه الكفر الذي يأتي من جهة الإعراض والتولي، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة العناد، والكبر، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الطعن والاستهزاء، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الكره والبغض لما أنزل الله، ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الموالاة ومظاهرة المشركين .. ومنه الكفر الذي يأتي من جهة الشك بالله تعالى، وبوعده ووعيده .. ومنه الكفر الذي يأتي من جهة التوجه بأي نوع من أنواع لعبادة للمخلوق .. فهذه الأنواع كلها يمكن أن يكفر المرء من جهتها وإن لم يكن جاحداً للحق أو مستحلاً للكفر في قلبه!

كذلك الجحود والتكذيب يمكن أن يكون باللسان والعمل، كما يمكن أن يكون بالقلب .. وجميعها تسمى كفر جحود .. وهذا كله قد دلت عليه نصوص الشريعة.

من أظهر لنا الإسلام حكمنا بإسلامه، وعاملناه معاملة المسلمين، ومن أظهر لنا الكفر . من غير مانع شرعي معتبر . أظهرنا له التكفير، وحكمنا بكفره ظاهراً وباطناً، وعاملناه معاملة الكافرين.

ونعتقد كفر من لا يعمل بالتوحيد، وكفر من انتفى عنه مطلق العمل وجنسه، لقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾آل عمران:٣١. فالذي ينتفي عنه مطلق الاتباع ينتفي عنه مطلق الحب لله ﷻ .. ومن كان كذلك لا شك في كفره.

وقال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾طه:١٢٤. وقال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾السجدة:٢٢.

ونعتقد كفر تارك الصلاة .. ولو كان مقيماً لغيرها من الفرائض .. لورود الأدلة والآثار الصريحة في ذلك.

ولا نؤثِّم ولا نبدِّع من لا يرى كفره .. إلا إذا كان لا يرى كفره لأن الصلاة عمل، وتارك العمل كلياً عنده ليس بكافر!

ونعتقد كفر من توجه إلى الأموات والقبور بالدعاء والسؤال والاستغاثة؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى .. وكذلك من صرف أي نوع من أنواع العبادة للمخلوق.

قال تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾الأعراف:٣٧.

وقال تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾الأنعام:٤١-٤٢.

وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾الأنعام:٥٦.

وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾الأعراف:١٩٧.

ونعتقد أن موالاة الكافرين نوعان: موالاة كبرى تُخرج صاحبها من الملة، وموالاة صُغرى؛ موالاة دون مولاة، لا تُخرج صاحبها من الملة.

ومن الموالاة الكبرى مظاهرة المشركين على المسلمين، لقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾المائدة:٥١. ولقوله تعالى:﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾آل عمران:٢٨. وقال تعالى:﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾الكهف:١٠٢.

ونعتقد أن العلمانية ـ على اختلاف راياتها ومسمياتها وأحزابها المعمول بها في الأمصار .. التي تفصل الدين عن الدولة والحياة، وشؤون الحكم والعباد .. وتجعل ما لله لله؛ وهي المساجد وزوايا التعبد وحسب .. وما لقيصر لقيصر؛ وهي جميع مرافق وشؤون الحياة .. وما كان لله يصل لقيصر، وما كان لقيصر لا يصل إلى الله .. وليس من حقه ولا من خصوصياته التدخل فيه ـ غرسٌ خبيث ودخيل على الأمة وثقافتها، وهي كفر بواح ومروق ظاهر من الدين .. فمن اعتقد بها، أو دعا إليها، أو ناصرها وقاتل دونها .. أو حكم بها .. فهو كافر مشرك مهما تسمى بأسماء المسلمين وزعم أنه من المسلمين.

قال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾النساء:١٥١.

وقال تعالى:﴿ فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾الأنعام:١٣٦.

فالعلمانية ودين الله لا يلتقيان .. ولا يتعايشان .. ولا يجتمعان في قلب امرئٍ أبداً.

وكذلك الديمقراطية .. فتنة هذا العصر .. التي تُكرس ألوهية المخلوق وحاكميته .. وترد له خاصية الحكم والتشريع من دون الله .. وتُعلي إرادته وحكمه على إرادة وحكم الله تعالى .. هي كفر بواح ومروق من الدين، فمن اعتقد بها بمفهومها هذا، والمعمول به في بلاد الغرب وغيرها من الأمصار .. أو دعا إليها، أو حكم بها .. أو رضيها .. فهو كافر مرتد مهما زعم بلسانه زوراً أنه من المسلمين.

ونعتقد كفر الحاكم الذي يبدل شرع الله تعالى بشرائع وقوانين الكفر، والحاكم الذي يجعل من نفسه نداً لله ﷻ في خاصية التشريع، فيشرع التشريع الذي يضاهي شرع الله، وكذلك الذي يعدل عن شرع الله فيحتكم إلى شرائع الطاغوت، ويقدمها على شرع الله.

ونعتقد كفر الحاكم الذي يحكم بالكفر والشرك، والحاكم الذي يحمي ويقاتل دون قوانين وشرائع الكفر، والحاكم الذي يرد حكم الله تعالى كبراً أو جحوداً أو عناداً أو كرهاً، أو استحلالاً، والحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله مطلقاً، والحاكم الذي يُحارب شرع الله، ودعاة الحكم بما أنزل الله لكونهم يدعون ويأمرون بالحكم بما أنزل الله، والحاكم الذي يوالي أعداء الأمة على الأمة .. فيحرص على تنفيذ أوامرهم ومخططاتهم في الأمة أكثر من حرصه على تنفيذ أوامر الله تعالى .. فهؤلاء الحكام جميعهم كفار، وأيما حاكم يتلبس ـ بيقين ـ بخصلة من تلك الخصال الآنفة الذكر فهو كافر مرتد، لا تجوز له الطاعة، ولا ولاية له على المسلمين ولا على بلادهم، ونرى وجوب إقالته والخروج عليه، عند توفر القدرة على ذلك.

والدليل على كفر جميع من تقدم ذكرهم من الحكام قوله تعالى:﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾المائدة:٤٤. وقوله تعالى:﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾الكهف:٢٦. وقوله تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾الشورى:٢١. وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾النساء:٦٠. وقوله تعالى:﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾النساء:٦٥. وقوله تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾المائدة:٥٠. وقوله تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾التوبة:٣١. وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾الأنعام:١٢١. وقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾محمد:٢٦. وقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾محمد:٩. وقوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾النور:٤٧. فهذه الآيات كلها تصلح دليلاً على كفر من تقدم ذكرهم من طواغيت الحكم.

فالمسألة ليست محصورة ـ كما يصور البعض! ـ في آية واحدة، وهي قوله تعالى:﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ليكثروا الجدال في تفسيرها، ودلالاتها، وأسباب نزولها .. وكأن المسألة لا يوجد عليها دليل من كتاب الله وسنة رسوله إلا هذه الآية الكريمة!

ونعتقد أن من الحكام ممن لا يحكمون بما أنزل الله من يكون كفره كفراً دون كفر .. ومن تقدم ذكرهم من الحكام ليس كفرهم من الكفر دون كفر.

فالكفر منه ما يكون كفراً أكبر يُخرج صاحبه من الملة، ومنه ما يكون كفراً دون كفر لا يُخرج صاحبه من الملة، وكذلك الشرك، والظلم، والفسق، والنفاق.

فكل كفر شرك، وكل شرك كفر، وكل كافر مشرك، وكل مشرك كافر، فإذا أُطلق الشرك شمل الكفر ولا بد، وإذا أُطلق الكفر شمل الشرك ولا بد، أما إذا اجتمعا في تعبير أو نص واحد ـ كأن يُقال: هذا كفر وشرك أو هذا كافر مشرك ـ اتفقا من حيث الحكم والوعيد، واختلفا من حيث الدلالة اللغوية لكل منهما.

وكذلك نقول: كلُّ كفرٍ وشركٍ ظلمٌ وفسقٌ، وليس كلُّ ظلمٍ وفسقٍ كفراً وشركاً، وكذلك كل كافر ومشرك ظالمٌ وفاسق، وليس كلُّ ظالم وفاسقٍ كافراً ومشركاً.

والكفر الأكبر نوعان: كفر مجرد، وكفر مغلظ ومركب؛ وهو الذي يُتبع كفره بالحرب، والطعن، والاستهزاء، والقتل، والكيد، والتآمر، والغدر .. ولكل منهما أحكامه الخاصة به .. فكما أن الإيمان يزداد وينقص بأعمال محددة .. كذلك الكفر يزداد بأعمال محددة ومعينة، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾آل عمران:٩٠. وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾النساء:١٣٧.

أما الردة: لا توجد ردة دون ردة، ولا ردة صغرى وردة كبرى، وإنما توجد ردة مجردة، وردة مغلظة، وكلتاهما تخرجان صاحبهما من الملة، والفرق بينهما أن السنة في المرتد ردة مجردة أن يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل، أما المرتد ردة مغلظة فيقتل دون أن يُستتاب إلا إذا تاب قبل القدرة عليه، فإن ذلك ينفعه.

ونعتقد أن أصحاب الكبائر من أهل التوحيد والصلاة . مهما عظمت ذنوبهم . فإنهم يُتركون إلى مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم .. ونعتقد أن التوحيد ينفعهم .. وينجيهم .. وأن شفاعة الشافعين من الأنبياء والصديقين والشهداء تطالهم بإذن الله تعالى.

ونعتقد أن الله تعالى لا يغفر الكفر والشرك، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾النساء:٤٨.

ونعتقد أن التوبة الصادقة تجبُّ ما قبلها وتمحه بما في ذلك الشرك والكفر .. وأن بابها لا يُغلق إلا عند الغرغرة ومعاينة الموت، كما قال تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾النساء:١٨.

ونعتقد أن التوحيد مصلحة عظمى تهون في سبيله جميع المقاصد والمصالح، وأن الشرك ظلم عظيم لا يعلوه ظلم، وفتنة عظمى لا تعلوها فتنة ..تهون في سبيل استئصالها جميع الفتن والمفاسد، كما قال تعالى:﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾لقمان:١٣. وقال تعالى:﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾البقرة:١٩١. وقال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾الأنفال:٣٩.

فالفتنة الحقيقية في قبول الشرك، والرضى به، والسكوت عنه، وليس في جهاده واستئصاله، وتغييره .. كما يصور البعض.

والشرك ضد التوحيد: وهو أن تجعل لله تعالى نداً في ألوهيته، أو ربوبيته، أو في شيء من خصائصه وصفاته .. وهو ﷻ الذي خلقك، وتفضل عليك بالنعم التي لا تُحصى.

أما التوحيد: فهو إفراد الله تعالى بالعبادة وحده، وله ركنان لا يُقبل ولا يستقيم إلا بهما معاً، أولهما: الكفر بالطاغوت؛ والبراءة منه، ومن عبادته، ومن عابديه، كما قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾الممتحنة: ٤.

والطاغوت: هو كل ما عبد من دون الله ﷻ، ولو بوجه من أوجه العبادة .. ورضي بذلك.

فالشيطان طاغوت .. والهوى المتبع طاغوت .. والساحر طاغوت .. والكاهن الذي يتكهن علم الغيب طاغوت .. والحاكم بغير ما أنزل الله طاغوت .. والذي يشرع مع الله أو من دونه طاغوت .. والدساتير والتشريعات المضاهية لشرع الله تعالى طاغوت .. والمتحاكم إليه من دون الله طاغوت .. والمطاع لذاته من دون الله طاغوت .. والمحبوب لذاته من دون الله طاغوت.

واشتراط الرضى في تعريف الطاغوت؛ لنخرج الأنبياء والصالحين الذين يُعبدون من دون الله . وهم لعبادة الناس لهم كارهون، ومبغضون، ومحذِّرون . من مسمى وحكم الطاغوت.

ثانياً: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ وإثبات أن الله تعالى وحده المعبود المألوه بحق، وهو معنى شهادة أن " لا إله إلا الله "، التي تتضمن ركني النفي والإثبات، وهو المراد من قوله تعالى:﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾البقرة: ٢٥٦. والعروة الوثقى، هي: لا إله إلا الله.

فمن توجه لله تعالى بالعبادة ولم يكفر بالطاغوت وبعبادته وعابديه فتوحيده ناقص ولا يُقبل منه، ولا يكون موحداً .. وهو مثله مثل من يأتي بالشيء وضده معاً.

فإن قيل: كيف يُكفر بالطاغوت ..؟

أقــول: كما أن الإيمان بالله تعالى يجب أن يكون بالاعتقاد والقول والعمل، كذلك الكفر بالطاغوت يجب أن يكون بالاعتقاد والقول والعمل .. لا تُجزئ واحدة من هذه الخصال عن الأخرى.

فمن اعتقد كفره وبغضه في قلبه، ثم هو بلسانه يدعو له، ويدعو لموالاته، ويزين باطله، ويسكت عن كفره وشركه وطغيانه .. ويُجادل عنه .. فهذا لا يكون قد كفر بالطاغوت.

كذلك الذي يكفر بالطاغوت في الاعتقاد والقول، لكنه في العمل يواليه ويُقاتل دونه ومعه على كل من يُعاديه .. فهذا كذلك لا يكون قد كفر بالطاغوت .. ولو زعم بلسانه ألف مرة أنه كافر بالطاغوت .. ولا يكون كافراً به إلا إذا كفر به . كما تقدم . بالاعتقاد، والقول، والعمل، معاً.

مع ضرورة مراعاة ما يمكن أن يعجز عنه المرء تحت ظروف الإكراه، والخوف، والتقية.

ونعذر . عملاً بالنصوص الشرعية وأقوال أئمة العلم . بالجهل المعجز الذي لا يمكن دفعه .. وبالتأويل المعتبر.

ونعتقد أن بداية كل غلو في التكفير مرده إلى عدم الإعذار بالجهل مطلقا .. كما أن مبدأ أهل الإرجاء والجفاء .. والوقوع في شبهاتهم وتفريطهم مرده إلى الإعذار بالجهل مطلقاً .. من دون تفصيل ولا ضوابط.

ولا نفرق . عند حصول العجز وانتفاء القدرة . بين الجهل في الفروع وبين الجهل في الأصول .. فيُعذر الأول، ولا يُعذر الآخر .. فهذا لا نقول به؛ لأنه قول محدث وغريب، وهو بخلاف ما دلت عليه نصوص الشريعة.

ومن فرق من أهل العلم بينهما فهو محمول على اعتبار استفاضة العلم بالأصول . في مجتمع من المجتمعات . إلى حد ينتفي معه العجز، ويحقق القدرة عند كل من يصدق في طلب ومعرفة تلك الأصول .. ولا يجوز تعميم ذلك على جميع أهل الأمصار، وفي كل زمان ومكان!

ونفرق بين الكفر العام وكفر المعين، ولا نرى كفر المعين إلا إذا توفرت بحقه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعه.

ونعتقد أن الأصل في الناس في مجتمعات المسلمين: الإسلام .. وأنهم مسلمون .. ما لم يظهر منهم ما يدل على خلاف ذلك.

ولا نكفر أحداً منهم بعينه إلا إذا ظهر منه كفر بواح صريح لنا فيه برهان من الكتاب أو السنة .. فالإسلام الصريح لا ينقضه إلا الكفر الصريح.

ونرى صحة الصلاة خلف البر والفاجر، وخلف مستور ومجهول الحال .. ما لم نرَ منه كفراً بواحاً .. ولا يُشترط . للصلاة خلفه . التثبت أو التبين من عقيدته ومعرفة حاله .. فهذا من صنيع أهل الأهواء والتنطع .. وهو بخلاف ما دلت عليه السنة، وأجمع عليه علماء الأمة.

كما نعتقد أن الله تعالى لا يُعذب أحداً يوم القيامة إلا من قامت عليه الحجة من جهة نذارة الرسل، فقابلها بالإعراض والإدبار، كما قال تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:١٥. وقال تعالى:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾النساء:١٦٥. وقال تعالى:﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾الملك:٨.

وكذلك في الحياة الدنيا فإن سنة الله تعالى في عباده أن لا يهلكهم بعذاب عام إلا بعد أن تبلغهم نذارة الرسل فيقابلونها بالجحود والإعراض، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا

أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾طه:١٣٤. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً ﴾الكهف:٥٩.

ولا نشهد على معين من أهل القبلة بجنة ولا نار .. ولا بعفو ولا عذاب .. إلا من ورد بحقه ممن سلف نص شرعي .. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾البقرة:٢١٦.

فإن حسنت الخاتمة، وظهرت قرائن عن الميت تبشر بالخير، يُمكن أن يُقال حينئذٍ على وجه الرجاء لا الجزم: نحسبه شهيداً .. نرجو أن يكون شهيداً .. ومن أهل الجنة .. ولا نزكيه على الله!

أما الكافر الذي يموت على الكفر فإنَّا نشهد عليه بعينه بالعذاب والخلود في النار .. ونبشره بذلك، كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" حيثما مررتَ بقبرِ كافرٍ فبشِّرهُ بالنار "، قال الصحابي: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً؛ ما مررتُ بقبرٍ كافرٍ إلا بشرته بالنار.

قال ابن عمر ﷺ:" نهانا رسولُ الله ﷺ أن نُوجِبَ لأحدٍ من أهلِ الدين النار "؛ مفهوم المخالفة يقتضي بأن نوجب لكل أحدٍ بعينه ليس من أهل القبلة والدين النار؛ إذ لو كان لا يجوز لما كان تخصيص النهي عن الحكم لأهل الدين بالنار معنى.

ولا يجوز أن يُحكَم على كافر في حياته بأنه من أهل النار؛ لاحتمال توبته ودخوله في الإسلام، ولكن يُمكن أن يُعلق الحكم على الخاتمة، فيُقال: إن مات على كفره فهو من أهل النار.

والمرء يدخل الإسلام بشهادة التوحيد، ولا يُجزئ عنها من أركان الإسلام شيء سوى الصلاة؛ فمن رؤي يُصلي صلاتنا، ويستقبل قبلتنا .. فهو المسلم، ويُحكم له بالإسلام وإن لم يُعرف عنه أنه نطق بشهادتي التوحيد، كما في الحديث:" من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله "البخاري.

فإن كان كفره من غير جهة شهادتي التوحيد، فإنه يدخل الإسلام بشهادتي التوحيد، وبالتوبة والبراءة مما كان سبباً في كفره وخروجه من دائرة الإسلام.

فمن نطق وصرح بشهادة التوحيد عصم دمه وماله، وعومل في الدنيا معاملة المسلمين، فله ما لهم وعليه ما عليهم ما لم يُظهر ما يُناقضها ويُبطلها، وهي تنفعه في الآخرة إن استوفى شروطها، وهي إضافة إلى شرط النطق والإقرار: العلم، والصدق والإخلاص، وانتفاء الشك وحصول اليقين، والعمل بها، ومحبتها ومحبة أوليائها، والرضى بها، والانقياد والتسليم لها، والموافاة عليها.

فمن قال: لا إله إلا الله بهذه الشروط .. نفعته يوم القيامة مهما كان منه من عمل .. وعليه ينبغي أن تُحمل الأحاديث التي تفيد دخول الجنة لمن قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال خردلة أو ذرة من إيمان .. أو من لم يعمل خيراً قط .. زائداً عن التوحيد.

ونعتقد أن العلاقة بين الظاهر والباطن مترابطة ومتلازمة، وكل منهما يؤثر ويتأثر من الآخر، ودليل عليه؛ فمن فسد ظاهره فسد باطنه، ومن فسد باطنه فسد ظاهره ولا بد، ومن كفر في الظاهر كفر في الباطن، ومن كفر في الباطن كفر في الظاهر .. والمنافق مهما أخفى كفره الباطن فإنه يُعرف من قرائن عدة .. ومن لحن القول .. ويأبى الله إلا أن يفضحه، كما الحديث المتفق عليه:" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ".

ونعتقد أن الإيمان لا يمكن أن يجتمع مع الكفر في قلب امرئٍ أبداً .. فإذا حلَّ أحدهما انتفى الآخر ولا بد.

ويمكن أن يجتمع في قلب واحدٍ إيمان وفسوق أو إيمان وكفر أصغر أو شرك أصغر.

ونبرأ إلى الله تعالى من ضلالات وغلو الخوارج ومن تابعهم من غلاة التكفير في هذا الزمان .. ونحذِّر منهم ومن غلوهم وظلمهم .. وننصح باعتزالهم وعدم مجالستهم إلا من لُمس منه الاسترشاد والحرص على طلب الحق .. فحينئذٍ يُجالسه طالب علم أو من كان قادراً على قيام الحجة عليه وإرشاده للصواب .. ونرى أن تسليط الدرَّة على رؤوسهم الجامدة أنفع لهم من نقاشهم وحوارهم!

وكذلك الخبثاء أهل التجهم والإرجاء .. بطانة الطواغيت الظالمين .. وعينهم الساهرة الحارسة على أمنهم وسلامتهم .. فهم الطرف النقيض للخوارج وغلاة التكفير .. فإنا نبرأ إلى الله تعالى من مذهبهم الضال الخبيث .. ومن أخلاقهم .. ونحذر منهم ومن غيهم وتفريطهم وفسادهم .. ومن كذبهم على دين الله ..!

ورأيُنا فيهم أن يُضربوا بالنعال، ويُطاف بهم في الأسواق، ويُقال: هذا جزاء من يجادل عن الطواغيت .. ويخذل التوحيد وأهله ..!

ونعتقد أن الحق وسط بين الغلو والجفاء، وبين التعطيل والتشبيه، وبين الأمن والإياس، وبين الجبر والقدر .. لا إفراط ولا تفريط .. في جميع مسائل الأصول والفروع .. وإنما هو وسط بينهما.

ونعتقد أن الجهاد ماضٍ مع كل بر وفاجر . ما لم يرق فجوره إلى درجة الكفر . وفي كل زمان، وبإمامٍ ومن دون إمام .. وأنه يجوز أن يمضي بفرد واحدٍ فما فوق .. لا يوقفه جور الجائرين، ولا إرجاف المثبطين .. وإلى قيام الساعة.

قال ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يُقاتل آخرهم المسيح الدجال ". وفي رواية:" إلى يوم القيامة ".

والطائفة تُطلق في اللغة على الفرد فما فوق.

ونعتقد أن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الشرعي الصحيح الذي يمكّن الأمة من استئناف حياتها الإسلامية، وقيام خلافة راشدة.

وهو الطريق الشرعي الصحيح الذي يمكن الأمة من استرداد حقوقها المغتصبة والمنتهكة .. وما أكثرها.

وهو الطريق الشرعي الصحيح الذي تُصان به الحقوق والحرمات من السطو والاعتداء.

وهو الطريق الشرعي الصحيح الذي يحفظ للأمة مكانتها وهيبتها بين الأمم التي لا تحترم إلا القوي.

وهو أقرب الطرق .. وأيسرها .. وأقلها كلفة .. للوصول إلى أهداف وغايات هذا الدين .. وإن بدا لأعشى الليل خلاف ذلك.

وما سوى ذلك من الطرق والحلول والمناهج المقترحة .. فمنها الباطل ومنها المشروع .. والمشروع منها لا يمكن أن تحقق نصراً عاماً على مستوى الأمة، أو ترقى إلى مستوى أهداف وغايات هذا الدين .. وأكثر ما يمكن أن يُقال فيها أنها تُعتبر روافد تمد بحر الجهاد بالقوة والحياة.

ونعتقد أن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين .. وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة .. وأنه تعالى لا يزال يسخِّر لهذا الدين رجالاً ينصر بهم الملَّة .. ويحفظ بهم دينه .. ويُعلي بهم كلمته .. ظاهرين على من ناوأهم .. لا يضرهم من خذلهم .. لا يخلو منهم زمان .. وإلى أن تقوم الساعة .. وهم الطائفة الظاهرة المنصورة.

ونعتقد أن الصراع والتدافع بين الحق والباطل قائم منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وناصبه إبليسُ العداءَ حسداً وكبراً، فأمرهم الله بالهبوط إلى الأرض كأعداء، كما قال تعالى:﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾البقرة:٣٦. ولا يزال هذا الصراع والتدافع بين الحق وأهله من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى .. ما بقيا على وجه الأرض .. وإلى حين قيام الساعة .. وهو من ضروريات ولوازم بقاء الحياة وحفظها .. وهو سنة ماضية من سنن الله تعالى في خلقه .. وأن العاقبة ـ ولو بعد حين ـ للمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾البقرة:٢٥١. وقال تعالى:﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾الحج:٤٠. وقال تعالى:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾الأنبياء:١٨. وقال تعالى:﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾الإسراء:٨١.

ونعتقد ونؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، لا نفرق بين أحدٍ من رسله .. وبكتبه المنزلة على رسله، وبملائكته، وأنهم عباد لله ﷻ لا يعصون الله ما أمرهم.

ونشهدُ ونؤمن أن عيسى عليه السلام عبدُ اللهِ ورسولُه وابنُ أمَتِه وكلمتُه ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروحٌ منه .. ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾النساء: ١٥٧. وأنه ينزل إلى الأرض حكَماً عادلاً؛ فيكسرُ الصليبَ، ويَقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ؛ فلا يقبلُ من الناس إلا الإسلام.

ونؤمن بالقدَر خيره وشره .. وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا .. وأن ما من شيء . مهما دق أو خفي . إلا بقدر، وقد رُقم قبل أن يكون .. وأن ما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا .. وبقدَر .. وما أصابنا من حسنة فمن الله تعالى .. وبقدَر.

ونعتقد جازمين بأن الموت حق .. وأن عذاب القبر ونعيمه حق .. وأن البعث والنشور حق .. وأن الحساب حق .. وأن الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق .. وأن الميزان الذي تُوزن به الأعمال حق .. وأن حوض نبينا ﷺ حق .. وأن الجنة ونعيمها حق .. وأن النار وعذابها حق .. وهي لا تفنى ولا تبيد .. وأن الشفاعة حق .. وهي لا تكون إلا لمن أذن الله له وارتضى .. وأن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حق .. وأن العرش حق .. والكرسي الذي بين يدي العرش حق .. وأن علو الله تعالى فوق عرشه حق .. وأن القرآن كلامُ الله غير مخلوق حق .. وأن جميع ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة من إخبار أو أمر أو نهي .. فهو حق ونؤمن به.

ونقول . ظاهراً وباطناً . ما أمرنا الله تعالى أن نقوله:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾البقرة:١٣٦.

هذه عقيدتنا .. وهذا الذي نؤمن به وندعو إليه .. ونجاهد في سبيله .. بها نحيا .. وعليها نموت ونلقى الله تعالى إن شاء الله .. سائلين الله تعالى القبول، والثبات، وحسن الختام.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٤٢٢/١٢/٢٦ هـ.

٢٠٠٢/٣/١٠ م.

www.abubaseer.bizland.com